إغناطيوس لويولا ونشأة اليسوعية

ولد «إغناطيوس لويولا»[١] مؤسس اليسوعية عام ١٤٩١م في قلعة «لويولا» بـ«جيبوزكوا» Guipuscoa بإسبانيا، لأسرة عريقة من أسر النبلاء. وكان أصغر إخوته الأحد عشر. أرسله أبوه - الذي لم يول الدين اهتماماً - ليكون وصيفاً في بلاط «فرديناند الخامس»، بيد أن طموحه أقنعه أن المجد لا يكون في حِجابة هذا الملك الكاثوليكي.

اتجه «لويولا» للخدمة العسكرية. غير أن ثراء القصر أورثه حب الملذات فكان حاله كحال غيره من ذوي التهتك. لكنّ الذي ميزه عن غيره من الجنود

(١) أنظر حياة «لويولا» ونشأة اليسوعية في:

Nicolini, G. B. *History of the Jesuits* (London: Henry G. Bohn, 1854)

Griesinger, Theodor. *The Jesuits: A Complete History* (London: W. H. Allen & Co, 1903)

Thompson, R. W. *The Footprints of the Jesuits* (New York: Hunt & Eaton, 1894).

Grinfield, E. W. *The Jesuits: An Historical Sketch* (London: Seelys, 1853).

هو الفخر وحب الثناء من الناس فلا يتخلف عن نصرة كما كان حال بعض شعراء الجاهلية.

وفي عام ١٥٢١م، وبينما كان يدافع عن مدينة «بامبلونا» Pampeluna ضد الفرنسيين واقفاً على أحد الأسوار، إذ أصابته قذيفة شلت قدمه؛ فوَنى بذلك عزم المحاصَرين واستسلموا. فلما دخل المنتصرون المدينة أحسنوا إليه وحملوه إلى قلعة والده. هناك عانى «لويولا» من الإصابة وأصابته حمى كادت تودي بحياته لولا مشيئة الله عز وجل، وله في كل شيء حكمة[1].

ثم تكون الكرامة - على حد زعم أحد المؤرخين - عشية عيد القديسَين «بطرس» و«بولس»، إذ ظهر له في منامه أميرُ رسل المسيح «بطرس» فوضع يده عليه فكانت رحلةُ شفائه منذ تلك الساعة. وعلى الرغم من أن «لويولا» لم يذكر حينئذٍ من أمر هذه الرؤيا شيئاً، إلا أن شفاءه البطيء قد يكون سبب تغير حاله إلى ما آل إليه. فأثناء فترة النقاهة الطويلة حاول «لويولا» أن يطرد ساعات السآمة التي قضاها في حجرة مرضه بقراءة كل ما وقع تحت يديه من كتب مغامرات الفرسان والنبلاء. فكانت مآثر الفروسية الرولندية والأماديسية مما انطبع على خياله الذي كان خاملاً قبل ذلك من جراء إصابته. فلما فرغ من تلك الكتب أهدى إليه أحد رفاقه المتدينين كتاب «**حياة القديسين**»، فطرحه إذ لم ينل إعجابه. لكنه لانعدام البديل عاد ليقرأه، فاستولى حب القديسين على مشاعره، وأسرت شهرتهم فؤاده فصار يعيد قراءته حتى كاد ينسى بذلك

(1) Cusack, M. F. *The Black Pope* (London: Marshal Russell & Co., 1896), p. 28.

أبطال الأساطير الذين كان يقرأ عنهم. لقد تجلى أمامه درب مجيد وطموح جديد، إنه سِلك القديسية.

على الرغم من أن الحياة العسكرية التي عاشها لم تفقد مكانها من بين محبوباته إلا أن شهرة القديس كانت أقرب إلى واقعه، فلم تكن تتطلب استعداداً لا يستطيعه. فكان وقوفه على مفترق الطريق أي السبيلين يتخذ: ذاك الذي يلبسه أكاليل الأبطال، أم هذا الذي يُتوِّجه تيجان القديسين؟ لقد حال بينه وبين الأول ما أصاب قدميه من تشوه، فشفي على عرج لم يفارقه إلى أن هلك. لم يكن طبيبه جراحاً فرُمَّ الجرح على عظم ناتئ مكسور تحت ركبته. عبثاً حاول «لويولا» الخلاص من تلك الإعاقة لكنه لم يفلح، فقد شد الطبيب رجله آملاً إعادتها إلى هيئتها لكنها ما لبثت أن ترددت وتقاصرت ثانية. فوجد الشاب نفسه قد بلغ الثانية والثلاثين وقد انزوت رجله ولم يحظ بشهرة، فلم يبق أمامه خيار إلا أن يصبح قديساً[1].

فلما دُفع إلى القديسية دفعاً بدأ يختلي بنفسه واعترف بكل خطاياه على طريقة الكاثوليك وبكى بكاء مريراً. ثم جلد نفسه حتى تمزع جلده. ثم علق سيفه إلى جانب مذبح الكنيسة بدير «مونسرات» معلناً بذلك هجران ماضيه. ولما لقي سائلاً قايضه حُلّته ولبس الغليظ من الثياب وانصرف إلى مغارةٍ قُرب مدينة «مانريسا» فصام بها إلى أن أوشك على الهلاك.

عندما خرج «لويولا» للناس هذه المرة وجد أن أحلامه قد تحققت، فقد أطبقت شهرته الآفاق، وأقبل الناس لرؤيته من كل حدب وصوب، بل زيرت

(1) Nicolini, G. B. *History of the Jesuits*, p. 12.

مغارته بدافع الفضول الذي يخالطه الإجلال، ولم يكن للناس هِجّيرى إلا الحديث عن هذا القديس وعبادته الصارمة. لكن روح النفاق لديه والتي كانت تسعى للسمعة فحسب ما لبثت أن تمكنت منه فأرْدته ثانية في حمأة الرذيلة. فاضطربت حياته أيما اضطراب وأصبحت شخصيته إلى الشر أقرب، على الرغم من دعاوى أتباعه أنه تاب ثانية واكتسب القدرة على شفاء الآخرين من اضطراب الضمير الذي كان قد عانى منه، وأنه منح هذه العطية لأتباعه. لكن الحقيقة هي أن هذه الروح المتمردة المرائية والمخادعة هي التي شكلت عقلية أتباعه الذين صاروا يعرفون فيما بعد بـ«جمعية يسوع» أو «اليسوعيين»[1].

استمر «لويولا» حياته هذه ونذر نذراً مغلظاً ألا ينتكس ثانية وقضى أيامه بين صلاة ومحاسبة للنفس وتأمل. لكن أحداً من الناس لا يعلم فيم كان يتأمل ولأجل ماذا كان يخطط! وبعد أشهر من حياة التنسك هذه أصدر كتيباً زاد من شهرته كناسك سماه The Spiritual Exercises «الرياضات الروحية»[2]. يعد الكتاب مثالاً لكيفية استعباد أتباع الكنيسة الكاثوليكية عن طريق فرض الولاء المطلق باسم الروحانيات. وهنا أذكر بإيجاز بعض القوانين التي يجب أن يلتزم بها الأتباع حسب ما سطره «لويولا»:

الأول: لا بد أن تكون عقولنا متأهبة وسريعة في الطاعة المطلقة لزوجة المسيح ربنا الحقة، أُمّنا المقدسة الكنيسة الكهنوتية.

---

(1) Nicolini, G. B. *History of the Jesuits*, p. 13.

(٢) يقصد بـ"الرياضات الروحية" عند الكاثوليك تلك المرحلة من التنسك والتعبد في أحد الأديرة والتي تستغرق عدة أيام وتسبق الالتحاق بـ"تنظيم" كاثوليكي ما. فإذا ما استحق المريد سَخَط السيد أو الجنرال عاد الأول إلى الدير ليعيد تأهيل نفسه لفترة قد تستغرق أسابيع هذه المرة.

الثاني: تمجيد الاعتراف أمام قسيس [فتنكشف لهم أسرار من حولهم من الرعايا].

الثالث: تمجيد سماع القُدَّاس.

الرابع: تمجيد «التنظيمات الدينية» [التي صارت «اليسوعية» على رأسها].

الخامس: تمجيد نذور الدين والطاعة [كالنذر الرابع كما سيأتي].

السادس: تمجيد آثار القديسين [بعد أن صار «لويولا» واحداً منهم].

التاسع: تمجيد كل أوامر الكنيسة وإبقاء العقل متأهباً للدفاع عنها وعدم معارضتها.

العاشر: طاعة «السادة» وعدم انتقادهم أمام العامة.

الثالث عشر: لِتحري الصواب في كل شيء، علينا دائماً أن نعتقد أن ما نراه أبيض هو أسود إن قررت الكنيسة الكهنوتية ذلك[1].

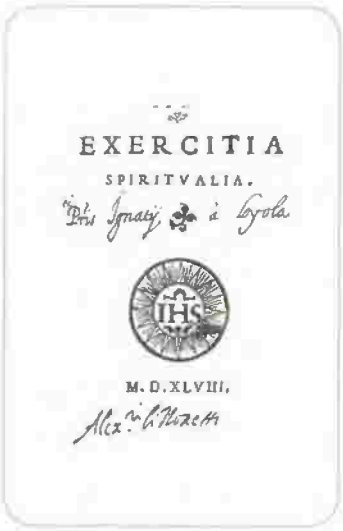

صورة رقم (٢٢): كتاب «الرياضات الروحية» الذي ألفه «لويولا».

(1) Loyola, Ignatius. *The Spiritual Exercises of St. Ignatius of Loyola* (New York: Cosimo Classics, 2007), pp. 189-192.

كانت الخطوة التالية التي قام بها لويولا هي "الحج" إلى بيت المقدس لدعوة "الكفَرة" – كما اعتبرهم – إلى الملة الكاثوليكية. لا أحد من المؤرخين يروي لنا ما صنعه لويولا في الأرض المقدسة. كل ما نعلمه هو أنه تلقى الأوامر بالعودة من قبل الراهب الفرنسيسكاني القائم بأعمال البابا هناك. أكانت مناورة من قبل الطرفين لخطة مستقبلية؟ ربما! وفي أثناء عودته إلى إسبانيا رأى لويولا أن الحصول على نصيب من العلم قد يؤهله في دعوته ويزيد من شعبيته أمام الجماهير. فالتحق بمدرسة في برشلونة لعامين يجلس خلالهما إلى جانب الأطفال وهو في الرابعة والثلاثين، حتى تعلم مبادئ اللغة اللاتينية (الرومية).

عندما فشل لويولا في كسب الأعوان في برشلونة ارتحل إلى «القلعة» Alcala ليلتحق بجامعتها، ثم جامعة «سَلَمنقة» Salamanca. حينها لبس لباس النساك ونجح في تجنيد أربعة أو خمسة من «الحواريين» كما كان يسميهم. لكن تحركاته أقلقت السلطات الإسبانية فاعتقل مرتين. ثم أطلق سراحه وطلب منه ومن أتباعه لبس ما تلبسه العامة وعدم الحديث إليهم حول «أسرار الدين». وكان مما اتهم به الانتماء إلى تنظيم الـ«ألومبرادو» Alumbrado (المتنوِّرين)[1]. لكن بعض الباحثين – أمثال «جيم مارس»[2] – يرى أن لويولا كان المؤسس لهذا التنظيم. وهذا يفسر تجنيد لويولا للأتباع واعتقاله مرتين ومنعه عن الحديث إلى أتباعه حول «أسرار الدين» التي هي

(١) أعيد هذا التنظيم عام ١٧٧٦م على يد اليسوعيين، وأصبح يعرف باسم الـ«إلوميناتي»، وهو الشكل اللاتيني لكلمة «ألومبرادو» ويعني «المتنورين» كذلك.

(2) Marrs, Jim. *Rule by Secrecy*, p. 236.

من قبيل الفكر الباطني الذي يعد امتداداً لفكر فرسان الهيكل. لكن القول بأن لويولا هو مؤسس تنظيم «المتنورون» يحتاج إلى مزيد بحث قبل أن يمكن الجزم به. ولكن لعل ما قام به لويولا من تحركات مريبة في «شلمنقة» عام ١٥٢٧م كان محاولة لإنشاء تنظيم مستقل قبل أن ينجح في إنشاء التنظيم اليسوعي.

لم يرُق الحال للويولا فاتجه بمفرده إلى باريس عام ١٥٢٨م بعد أن تخلى عنه أعوانه. لقد تعلم لويولا من تجربته المريرة في «القلعة» و«شلمنقة» أن يكون كيِّساً فطناً؛ حتى إنه تمكن من الإفلات من العقاب أكثر من مرة بسبب ظهوره بزي القديسين ومحاولة جمع الأتباع[1].

لم يكن لويولا يفتر عن التخطيط والتدبير لتحقيق طموحه. وكانت النتيجة فوق ما تخيل. لقد تبع لويولا عدد من العباقرة وعَدُّوه قائداً وسيداً لهم. منهم «فرانسيس خافير» Frances Xavier و«الفونسو سالميرون» Alfonso Salmeron و«دييجو لاينيز» Diego Laynez و«نيكولاس بوباديلا» Nicholas Bobadilla من إسبانيا، و«بيتر فيبر» Peter Faber من فرنسا، و«سيماو رودريجوس» Simão Rodrigues من البرتغال. ثم التحق بهم بعض النبلاء من أمثال «فرنسيسكو دي بورجا» Francisco de Borja أحد أعيان «آل بورجا» House of Borgia والمساعد الأول للإمبراطور «تشارلز الخامس»[2].

بعد بضعة لقاءات مع أعوانه كان اللقاء التاريخي الذي جمعهم في دير

(1) Nicolini, *History of the Jesuits*, p. 21-22.

(2) Griesinger, Theodor, *The Jesuits*, p. 25.

«مونتمارتر» Montmartre يوم «عيد رفع العذراء» في الخامس عشر من أغسطس عام ١٥٣٤م. بدأ «بيتر فيبر» طقوس القداس ثم تلاها نذر مغلظ بالسير إلى الأرض المقدسة ونشر «بشارة الإنجيل» بين «الكفرة» من غير الكاثوليك. كانت هذه المواثيق التي أخذها لويولا على أتباعه مُرضِيةً له فغادر إلى بلدته ليستجمع قواه قبل أن يشرع في تنفيذ مهمته، وبقي أعوانه في باريس لإتمام دراساتهم اللاهوتية على أن يجتمعوا مرة أخرى في «البندقية» في مطلع عام ١٥٣٧م، وأوصاهم إن سألهم سائل عن دينهم أن يجيبوا بأنهم من «جمعية يسوع» لأنهم أصبحوا جنوداً للمسيح.

كان الهدف الأول من هذه البيعة هو القضاء على الإسلام كما يؤكد ذلك «جيمس وايلي» James Wylie في كتابه «تاريخ البروتستانتية» بقوله: "إن الحرب التي جند لها لويولا وأتباعه أنفسهم - عندما أدوا نذرهم في ١٥ أغسطس ١٥٣٤م في كنيسة «مونتمارتر» - كانت ستشن على مسلمي المشرق"[1]. لكنها فيما بعد شملت كل أعداء الكنيسة الكاثوليكية الرومية خصوصاً البروتستانت.

سبق القديسُ لويولا حواريه إلى البندقية حيث لم يسلم من المضايقات، لكنه لم ينته. وهناك تعرف على «بيير كارافا» Pierre Caraffa الذي أصبح فيما بعد «البابا بولس الرابع». كان هذا الرجل الفظ «كارافا» قد تخلى عن أسقفية «ثيات» ليصبح رفيقاً للقديس «كايتان» الذي أسس معه تنظيم

(1) Wylie, James A. *The History of Protestantism* (Hartland Publication, 2003), vol. II, p. 1104.

«الثياتيين» الرهباني - نسبة إلى مدينة «ثيات» الإيطالية - الذي كان هدفه محاربة البروتستانتية. نجح لويولا في الاقتراب من «كارافا» الذي كان ذا نفوذ حينئذ، والتحق بدَيره وأشرف على مستشفى تابع للدير وأصبح مقرَّباً لدى «كارافا».

بدأت طموحات لويولا المبعثرة تجتمع فهو الآن يطمع في السلطة والشهرة معاً. فعرض على «كارافا» فكرة إصلاح التنظيم وحاول دفع «كارافا» لقبوله. لكن «كارافا» أوجس في نفسه خيفة من أطماع لويولا فرفض عَرضه واقترح عليه أن يبقى «أخاً» في تلك الرهبنة كما هي. لكن نفس لويولا الطمّاحة لا تسمح له أن يكون في المرتبة الثانية في الدير فضلاً عن أن يكون فرداً عادياً. لذا قرر لويولا تأسيس جمعية مستقلة به ولكن بحذر شديد.

ولأنه كان ملزماً بنذر نذره على أن يدعو "الكفرة" في الأرض المقدسة أظهر لويولا أن عليه وعلى رفاقه أن ينذروا حياتهم لهذه المهمة. وبناء عليه فعند وصولهم إلى البندقية أرسلهم إلى «روما» يستجْدون مباركة البابا لمشروعهم، وليقدمهم للبلاط الرومي كنواة لتنظيم ديني جديد. ولعل سبب عدم ذهابه معهم هو خشية أن يكشف البابا شخصيته الوثابة الجشعة فينهدم ما بنوه.[1]

استُقبل حواريوه في روما بكل حفاوة، ومنحهم البابا ما جاءوا لأجله من بركات، ثم عادوا إلى «البندقية» ليتهيؤوا للإبحار إلى فلسطين. وهناك غلبهم لويولا على أن ينذروا نذرَي «الفقر» و«التبتل». وتحت ذريعة الحرب الدائرة بين الروم والعثمانيين تخلى لويولا وأتباعه عن مهمة الدعوة وانتهى

(1) Nicolini. *History of the Jesuits*. p.26.

بذلك حَجُّهم المزعوم.

توجه لويولا إلى روما مصطحباً معه «لاينيز» و«فيبر» ليلفت إليه نظر البابا. كان الجالس على كرسي القديس بطرس آنذاك «بولس الثالث» الذي أقام «مَجْمع تُرنت» Council of Trent. وهو الذي حرض الإمبراطور حينئذ على قتال البروتستانت وأرسل ١٢,٠٠٠ من جنوده إلى ألمانيا بقيادة حفيد له ليشاركوا في تلك الحرب، وبارك كل من سفك دم بروتستانتي.

استُقبل لويولا وصاحباه برعاية كريمة من قبل هذا البابا. فقد امتدح حياتهم المثالية وسألهم عن مشاريعهم لكنه لم يلتفت إلى الخطة التي ألمحوا إليها من إنشاء تنظيم ديني جديد. لكن هذا لم يفتَّ في عضد لويولا فاستدعى كل حواريه من «لومباردي» Lombardy وعرض عليهم خطة أكثر وضوحاً حول ما يزمع إنشاءه من «جمعية» society. حازت هذه الخطة رضاهم فتقاسموا على الطاعة العمياء للجنرال الأعلى Superior General - أي «لويولا» نفسه - فكان هذا «نذر الطاعة» بعد أن أدوا نذري «الفقر» و«التبتل»[1]. والملاحظ أن هذه النذور الثلاثة هي التي كان ينذرها فرسان الكنيسة في أثناء الحروب الصليبية كما ذكر سلفاً.

تأمل كيف استطاع هذا الشرير أن يستدرج أتباعه إلى هذه المرحلة. فعلى الرغم من الرفض المتكرر لرغباته من قبل البلاط الرومي إلا أن عزمه لم ينِ. وبعد تفكير طويل وَجد ما يثني به تصلب البابا عندما أقنع أتباعه أن ينذروا «النذر الرابع» Fourth Vow - ذاك النذر البشع الذي نال به حظوة البابا.

(1) *History of the Jesuits*, p. 27.

وبعد مداولات أصدر البابا في السابع والعشرين من سبتمبر عام ١٥٤٠م مرسومه الموسوم «إلى حكومة الكنيسة المحارِبة» *Regimini militantis Ecclesiae* معلناً اعتماده التنظيم الجديد تحت اسم «جمعية يسوع» The Society of Jesus. وأصبح الأتباع يعرفون باسم «اليسوعيين» Jesuits.

اتخذ «لويولا» لتنظيمه شعاراً يتألف من قرص الشمس تتوسطه الأحرف الثلاثة IHS وقد علاها صليب. وقد اختلف في معنى هذه الأحرف، فقيل هي الأحرف الأولى من العبارة (*In Hoc Signo* Vinces) وتعني «بهذه العلامة (تغلب)» والتي زعم «قسطنطين» أنه رآها في منامه. وقيل هي الأحرف الأولى من لقب يسوع (*Iesus Hominum Salvator*) وتعني «يسوع مخلص البشر»[1]. لكن بعض مشاهير علماء النصارى - كـ«الإسكندر هِسلوب» - يرى أن هذا الرمز يمثل الأحرف الأولى من الثالوث المصري: Isis «إيزيس»، وHorus «حورس»، وSeb «سِب» على التوالي (IHS)، وأن التفاسير الأخرى محاولةٌ لتشويه الحقيقة، وهي

صورة (٢٣): شعار اليسوعية، وتظهر فيه الأحرف الثلاثة IHS داخل قرص الشمس.

(1) Mackey, Albert. *Encyclopedia of Freemasonry* (Philadelphia: Moss & Company, 1874), p. 358.

أن الكنيسة الكاثوليكية قامت على أساس وثني فرعوني[1].

الحكومة اليسوعية ودستورها:

«الحكومة اليسوعية» مَلَكية صرفة، والجنرال الأعلى الذي يعرف بـ«البابا الأسود» هو الملك المستبد الذي لا تُقبل معارضته بأي حال من الأحوال. يقول «لويولا» في «دساتيره»: "ستكون سلطة الجنرال مطلقة، فإذا رأى أن أمراً ما أَدعى إلى تمجيد الرب فإن له أن يرُدَّ أو يوجِّه إلى ناحية أخرى من جاءه مباشرة من الباباوات"[2]. فسلطته أقوى من سلطة البابا المعلن.

صورة (٢٣): اليسوعيون في روما.

(1) Hislop, Alexander. *The Two Babylons*, p. 164.

(2) Cusack, M. F. *The Black Pope*, p. 80.

ألّف لويولا دستور الجماعة الذي عرف بـ«الدساتير» The Constitutions وجعل شعار التنظيم «من أجل مجدٍ أعظم للرب» *Ad majorem Dei gloriam*. وكانت كتابة «الدساتير» في أثناء مرحلة حرجة بالنسبة لروما والكنيسة الرومية. فقد كانت المعارضة البروتستانتية على أشدها والكنيسة متهمة بالفساد وعدم التزام الشريعة. كما كانت الأديرة على خلاف مع بعضها البعض والأساقفة يتهمون البابا بالاستبداد. فلما ظهر لويولا استطاع أن يأسر عاطفة المتدينين ويكسب عونهم. لكنه في الحقيقة كان يستغل اعترافات المذنبين لمعرفة أسرارهم والسيطرة عليهم. ولكن كان عليه قبل أن يوظفهم في خدمته أن يشرع قوانين تضبط الفوضى المحتملة. فكتب تلك الدساتير لهذا الغرض. فعن قبول «المرشح» يقول:

> بما أن الاختيار الجيد مهم جداً لخدمة الرب فإن الاجتهاد لا بد منه للتحقق من خصوصيات الشخص ورسالته. وإذا لم يتمكن «السيد» – المسؤول عن قبوله لمرحلة التجريب – من التحقق بنفسه فليوظف من بين الرفاق الدائمين للشخص [المرشح] من قد يستعين بهم حتى يتعرف على [الشخص] المجرَّب.

بمعنى أن يعين عليه جاسوساً ممن حوله! لكن هذا لا يكفي لقبوله بل يرسَل للعيش في بيت آخر "حتى يمتحن بدقة إن كان يصلح للقبول في مرحلة التجريب". فإذا ما استقر الأمر على قبوله في الجماعة تم إدخاله إلى «بيت التجريب الأول». وبعد يوم أو يومين "عليه أن يبوح بما في ضميره للسيد،

بعدها يقدم اعترافاً عاماً لكاهن الاعتراف الذي يعيِّنه السيد[1]" .

ليس هذا فحسب بل يوجد "في كل بيت من بيوت الاعتراف رجل متمرِّس يبوح له المرشح بكل همومه بثقة. وعليه أن يُنصح بألا يخفي أي خاطرة بل يكشفها له أو لكاهن الاعتراف أو للسيد؛ بل يلتذّ بإبداء كل ما في نفسه لهم، فلا يقتصر على كشف عيوبه بل حتى تكفيره عن ذنوبه وجلده لذاته وفضائله" . وإذا قُبل المرشح في إحدى الكليات اليسوعية فعليه أن "يبوح بما في ضميره لعميد الكلية ويبجله ويجله باعتباره شاغلاً لمنصب المسيح ربنا" .

تُبلَّغ كل هذه المعلومات والخفايا وميول الأعضاء وأذواقهم للجنرال الذي يسطرها في سجل مرتب ترتيباً أبجدياً لاستعمالها عند الحاجة، ويضيف إليها ما يراه مهماً حيث إنه يتلقى تقريراً وافياً عن كل عضو مرتين في العام. لكن هذا لا ينفع دون وجود سلطة مستبدة لا يقاومها أحد. وقد ضمنت «الدساتير» ذلك بالنص على أن المرشح "لا بد أن يَعتبر «السيد» هو المسيح الرب وأن يسعى إلى تحقيق أعلى قدر من التسليم وإنكار الإرادة والحكم الذاتيين من أجل إرادة وحكم «السيد»" .

كما أن على المرشح أن ينذر حياته كلها للجماعة، بل يقطع كل أواصره مع والديه وعائلته وأصدقائه. بل إن ثروته توزع لصالح الجماعة خلال عام من التحاقه بأمر من الجنرال. وكانت «الدساتير» تنفذ بكل صرامة حتى إنّ «فرانسيسكو دي بورجا» «دوق كانديا» الذي أصبح فيما بعد من قديسي

(١) الاقتباسات من «الدساتير» منقولة في مجملها عن كتاب: *History of the Jesuits* «تاريخ اليسوعيين». أما النص الكامل للدساتير فيرجع فيه إلى:
The Constitutions of the Society of Jesus (London: 1838).

الجماعة لم يُقبل قبولاً نهائياً - بالرغم من وساطة البابا - إلا بعد ثلاثة أعوام، حيث أبقاه لويولا خارج «منزل الجماعة» حتى تخلى عن دوقيَّته وعلائقه بالعالم الخارجي.

هرمية التنظيم:

أما هرم جماعة اليسوعيين فينقسم إلى أربع طبقات: ١) المبتدئون Novices ٢) العلماء Scholars ٣) المساعدون Coadjutors ٤) والمعلنون Professed. وهناك طبقة خامسة لا يطلع عليها غير الجنرال وبعض المقربين من الأعضاء، وهي التي تشكل القوة الغامضة في التنظيم. وتتألف هذه الطبقة من شرائح متنوعة بدءاً من الوزير وانتهاء بملمع الأحذية. كما ينتمي إلى هذه الطبقة كثير من النساء البارعات في الجاسوسية والإغواء. يقول الأب اليسوعي «فرانسيس بيليكو»: "إن الكثرة الكاثرة من أصدقاء الجمعية اللامعين، من أساقفة وخطباء وعلماء وأعيانٍ ذوي ألقاب ومساندين، يبقون في سرية ويُلزمون الصمت"[1].

١) المبتدئون: بعد تمحيص المرشح في «بيت التجريب الأول» ينتقل إلى «بيت الرهبان الجدد». تستغرق هذه المرحلة عامين تزيد أو تنقص كما يأمر الجنرال. وهناك ست رياضات يمتحن بها المبتدئون:

١. على المبتدئين أن يكرسوا شهراً للرياضات الروحية ومحاسبة النفس والاعتراف بالخطايا والتدبر والتأمل في حياة المسيح وموته وقيامته وصعوده.

(1) *History of the Jesuits*, p. 46.

٢ . عليهم أن يعملوا في مستشفى أو أكثر يخدمون المرضى حتى يتخلصوا من علائق الحياة .

٣ . لا بد أن يتجولوا شهراً دون مال ؛ يتسولون من باب إلى باب حتى يخشوشنوا . وإن رأى «السيد» استمرارهم في أحد المستشفيات عوضاً عن التسول فله ذلك .

٤ . في أي بيت يدخلونه لا بد أن يقبلوا العمل في المهن المتواضعة حتى يظهروا بمظهر القدوة في كل شيء .

٥ . عليهم أن ينشروا التعاليم النصرانية للأولاد أو والديهم إن كانوا أميين سراً وجهاراً متى ما سنحت الفرصة .

٦ . إذا أظهر المبتدئ ما يدل على تحسنه في مرحلة التجريب عندها ينتقل إلى الوعظ وسماع الاعترافات أو أي نشاط آخر يتطلبه المقام .

وليس لليسوعي المبتدئ أثناء هذه المرحلةِ من الامتحان أن يجرؤ على القول بأنه عضو في الجماعة بل يصف نفسه كراغبٍ في دخولها، دون أن تستشرف نفسُه منصباً، بل ينتظر بفارغ الصبر ما يوكل إليه من مهام حسب المصلحة . وبعد انقضاء العامين والانتهاء من مرحلة التجريب بشكل مُرضٍ ينذر النذر التالي :

أيها الإله القادر الأزلي، أنا [فلان بن فلان] - مع عدم استحقاقي في نظرك المقدس، لكن أُعوِّل على عطفك ورحمتك الواسعتين، تدفعني الرغبة في خدمتك - في حضرة

مريم العذراء المقدسة وأمام كل أجناد سمائك أنذر لجلالك الإلهي فقراً دائماً وتبتلاً وطاعة في «جمعية يسوع» وأتعهد بأن أدخل هذه الجمعية وأن أعيش فيها إلى الأبد مدركاً كل شيء بحسب دساتير الجمعية. أسألك متذللاً بعطفك ورحمتك اللذَين لا يعرفان حدوداً - من خلال دم يسوع المسيح - أن تتفضل بقبول تضحيتي [ممزوجة] برائحة العرق. وكما منحْتني رحمتك الوافرة في أن أرغب وأتقدم [للنذر] أن تعينني على الوفاء بذلك. (روما [أو غيرها]، في مكان كذا، يوم . . . شهر . . . عام . . .)[1].

هذه هي الوصايا المكتوبة أما الحقيقة فإن المبتدئ لا ينتهي من العامين إلا وقد أصبح أداة طيّعة بيد الجنرال ليس له من الأمر شيء إلا ما أُشرب من دساتير الجماعة. أو يطرد قبل ذلك إذا ما آنست منه الجماعة تردداً، بعد أن يتعهد بعدم البوح بما علم وإلا كان لهم معه شأن آخر.

٢) **العلماء**: لتحقيق أغراض التنظيم، فإن اليسوعيين يعولون بقدر كبير على النوابغ من أفرادهم. ولهذا فهم يختارون أصحاب الملكات العقلية الفائقة ويولون جامعاتهم وكلياتهم اهتماماً بالغاً حتى إنها كانت في زمنٍ مَضى الأفضل في أوروبا كلها. بل إن العظماء في كل الدول الكاثوليكية في أوروبا في القرنين السابع عشر والثامن عشر تعلموا على أيدي اليسوعيين.

وهناك صنفان من العلماء في الجامعات والكليات اليسوعية هما

(1) *The Constitutions*, p. 54.

«المقبولون» The Received و«المُعتمَدون» The Approved . فالصنف الأول هم أولئك المرشحون الذين ثبت تميزهم قبل دخول مرحلة «المبتدئين». أما الصنف الآخر فهم أولئك الذين انتهوا من مرحلة «المبتدئين» وأدّوا النذور. كلا الطبقتين تطمح في الانتماء إلى طبقتي «المساعدين» و«المعلنين» إذ يمتلك أعضاؤها زمام السلطة في الجمعية اليسوعية. أما نذور طبقة العلماء فهي عينُ نذور المبتدئين كما أوردتها أعلاه.

٣) **المساعدون**: الطبقة الثالثة هي طبقة «المساعدين» بقسميهما «الزمنيين (أو الدنيويين)» و«الروحيين». فالمساعدون الزمنيون مهما كان مبلغهم من العلم لا يسمح لهم بالالتحاق بالتنظيمات الدينية بل يعملون حمَّالين وطباخين ومضيفين وعملاء للجمعية. أما المساعدون الروحيون فهم القساوسة والكهنة والذين يشترط فيهم التميز العلمي الذي يؤهلهم للوعظ وسماع الاعترافات. ومن هذه الطبقة يعين عمداء الكليات وسادة «بيوت التجريب» آنفة الذكر. ولكن ليس لهم صوت في انتخاب «الجنرال».

بعد اجتياز امتحانات «بيت التجريب الأول» و«المبتدئين» يزيد «المساعد» عاماً ثالثاً للتحقق من مقدرته. وفي حالة العمل كحمال أو طباخ يطالب بعام رابع ويشترط إلمامه ببعض قضايا المال والإدارة. أما نذر هذه الطبقة فهو كالآتي:

"أنا [فلان بن فلان] أتعهد للإله القادر – أمام أمه العذراء وأمام كل أجناد السماء وأمامك أيها الأب المبجل، جنرالُ جمعية يسوع وخلفائك، يا من تشغل مكان الإله – بالفقر الدائم والتبتل والطاعة بما في ذلك من عناية

خاصة بتثقيف الأولاد بالشكل الذي ترسمه الرسائل الرسولية ودساتير الجمعية المذكورة. (روما [أو غيرها]، في مكان كذا، يوم . . . شهر . . . عام . . .)»[1].

هذا نذر المساعد الروحي أما المساعد الزمني فيَستبعد عبارة "بما في ذلك من عناية خاصة بتثقيف الأولاد" لأنه ليس من اختصاصه.

٤) **المعلنون**: وتعد هذه الطبقةَ الأولى من ناحية النفوذ والسلطة؛ ويمكن القول بأنها هي «جمعية اليسوعيين» على الحقيقة. فهي تمر بمراحل من التجريب والتمحيص الصارمين ولهذا فهي تضم عدداً قليلاً من الأعضاء كلهم من القساوسة. وبالإضافة إلى تمكنهم من الأدب والفلسفة فإن عليهم أن يكرسوا أربعة أعوام لدراسة اللاهوت. وقبولهم في الجمعية هو من خصوصية «الجنرال» لا يفوَّض بذلك غيره. وهم يؤدون النذور التقليدية السابقة من نذور الفقر والتبتل والطاعة. أما النذر الرابع الذي يؤديه «المعلنون» فترتعد منه الفرائص وهو النذر الذي نال به «لويولا» حظوة عند البابا «بولس الثالث». تقول «م. ف. كيوساك» M. F. Cusack في كتابها «البابا الأسود»:

> لا يسمح لليسوعي أن يؤدي نذوره النهائية [أي القسم المغلظ من النذر الرابع] حتى يبلغ الخامسة والأربعين من عمره. ولهذا فإن عدد أعضاء التنظيم «المعلنين» قليل . . . يقضي أحدهم في التنظيم واحداً وثلاثين عاماً قبل أن يؤدي النذور النهائية حتى يكون الذي لم يلتحق بـ«المبتدئين» منذ نعومة أظفاره قد تخلف

(1) *The Constitutions*, p. 53.

عن ركب السنين التي تؤهله لتأدية النذور. وهو في هذه الأثناء ببساطة عبدٌ للجنرال؛ إن شاء أبعده وإن شاء أمسكه. وعليه أن يكون كالجثة بين يدي سيده[1].

هنا أورد مراسيم التجنيد لهذه الطبقة ونص «النذر الرابع» - الذي أقره البابا «بولس الثالث» ورضي به الباباوات من بعده[2] - كما أورده «إدوين شيرمان» Edwin Sherman في كتابه «فَيلقُ جهنَّم المدبَّر» The Engineer Corps of Hell:

مراسيمُ التجنيدِ والقسَمُ المغلَّظ لدى اليسوعيين:

"[إذا ما تقرر رفع يسوعيٍّ من مرتبةٍ أدنى إلى مرتبةِ الأمر فإنه يساق إلى داخل «محراب دَير التنظيم» حيث لا يوجد سوى ثلاثة؛ الرئيسُ أو السيد واقفاً أمام المذبح، وعلى جنَبَتيه كاهنان؛ أحدهما يمسك رايةً صفراء وبيضاء - وهي الألوان البابوية - والآخر رايةً سوداء عليها صورة خنجر وصليبٍ أحمر يعلوان جمجمةً وعظمين متصالبين، وقد كُتب عليها INRI [3] وكتب تحت هذه الأحرف IUSTUM NECARE REGES IMPIOS وتعني «مِن العدل إهلاك كل ملكٍ فاسق». وعلى الأرض صليب أحمر يجثو عليه المريد أو المرشح. ثم يناوله السيد صليباً أسود فيأخذه بشماله ويضمه إلى صدره، بينما يناوله السيد في الوقت نفسه خنجراً فيمسك شَفرته ويضع ذبابته على

---

(1) *The Black Pope*. pp. 92-93.

(٢) بل وأكد على أهميته البابا الحالي «بندكت السادس عشر» كما سنرى.

(٣) هذه هي الأحرف الأولى من العبارة التالية لها.

قلبه والسيد لا يزال ممسكاً بمقبضه. فيخاطب المريدَ قائلاً[1]:

السيد: أَيْ بُنَيّ! لقد عُلِّمتَ حتى الآن كيف تلعب دور المرائي: فتكون بين الكاثوليك الروم كاثوليكياً رومياً؛ وتكون جاسوساً حتى بين إخوانك؛ وألا تصدق أحداً أو تثق بأحد. تكون بين الإصلاحيين إصلاحياً، وبين الهيجونوت هيجونوتياً[2]، وبين الكالفنيين كالفنياً، وبين البروتستانت بروتستانتياً في العموم، فتنال ثقتهم فتسعى حتى إلى التبشير من على منابرهم، فتتبرأ بكل ما في طبعك من حُرقة من ديننا المقدس ومن البابا. بل وتتدنى إلى المستوى الذي تصبح به يهودياً بين اليهود لتتمكن من جمع كل المعلومات لمصلحة تنظيمك باعتبارك جندياً وفياً للبابا.

لقد عُلِّمتَ كيف تغرس بذور الحسد والكراهية بين المجتمعات والمناطق والدول التي كانت تعيش في سلام وأن تحرضهم على الأعمال الدموية بإقحامهم في حروب فيما بينهم، وأن تُحْدث ثورات وحروباً أهلية في دول كانت مستقلة مزدهرة ترعى الآداب والعلوم وتنعم بنعمة السلام. [عُلِّمت] أن تتحيز إلى [جانب] المقاتلين وأن تعمل سراً بالتنسيق مع أخيك اليسوعي الذي قد يكون ذا مهمة [مماثلة] في الجانب الآخر لكنه في الظاهر معارض لما قد تكون بصدده. حتى تكون الكنيسة هي الرابح في النهاية، وفقاً للشروط المنصوص عليها في معاهدات السلام، وحتى تبررَ الغايةُ الوسيلة.

لقد عُلِّمتَ واجبَك كجاسوسٍ، تجمع - بكل ما أوتيت من وسع ومن

---

(١) ما بين المعقوفين هنا من إضافة «إدوين شيرمان».

(٢) الهيجونوت: هم أتباع الكنيسة البروتستانتية في فرنسا بين القرنين السادس عشر والثامن عشر.

أي مصدر كان – كل الإحصاءات والحقائق والمعلومات؛ وتتملق لكسب ثقة محيط العائلة من بين البروتستانت والهراطقة، من كل طبقة وشخصية؛ كذلك التاجر والمصرفي والمحامي، وفي أوساط المدارس والجامعات، وفي البرلمانات والهيئات التشريعية، وفي المؤسسات القضائية والمجالس الحكومية. وأن "تكون كل شيء لكل أحد"، من أجل البابا الذي نحن خَدَمُه حتى الموت.

لقد تلقيتَ كل تعاليمك حتى الآن باعتبارك مبتدئاً، كاهناً حديثاً، وخدمت باعتبارك مساعداً، وكاهنَ اعتراف وقسيساً. لكنك لم تقلَّد بعدُ كلَّ ما من شأنه أن يخولك لتكون آمراً في جيش لويولا من أجل خدمة البابا. عليك أن تخدم الفترة المطلوبة كوسيلةٍ ومُنفِّذ كما يوجهك السادة. لأنه ما من أحد يأمرُ هنا ما لم يبارك جهودَه بدماء الهراطقة؛ فـ"بدون سفك دم لا يخلُصُ بشر"[1]. لذا فمن أجل أن تُعِدّ نفسك لواجبك وتضْمن خلاصك الشخصي – بالإضافة إلى قسَمك السابق بالطاعة للتنظيم والولاء للبابا – عليك أن تردد بعدي:

القسم المغلظ لدى اليسوعيين

أنا [فلان بن فلان]، الآن، وبحضرة الإله القادر، ومريم العذراء المباركة، والمبارك ميكائيل كبير الملائكة، والمبارك القديس يوحنا المعمدان، والرسل القديسين: القديس بطرس والقديس بولس وكل القديسين وأجناد السماء الأطهار، وأمامك أيها الأب الروحي، القائد الأعلى لجمعية يسوع، التي أسسها إغناطيوس لويولا إبان بابوية بولس الثالث، أُعلن وأُقسِم برحِم

(١) أو "... لا تحصل مغفرة." وهو اقتباس من رسالة العبرانيين ٩ : ٢٢.

العذراء، وعاءِ الإله، وبقضيب يسوعَ المسيح،[1] أن قداسة البابا هو خليفة المسيح، وأنه الرئيس الحق والوحيد للكنيسة الكاثوليكية أو الشاملة على وجه الأرض. وأن لديه السلطة - بفضل مفاتيح العقد والحل التي منحت لقداسته من قبل مخلصنا يسوع المسيح - لعزل الهراطقة من ملوك وزعماء ودول وحكومات، فكلها دون اعترافه المقدس غيرُ شرعية وحقيقةٌ بالتدمير. وعليه فإنني، وبكل وسعي، سأنافح جزماً عن هذه العقيدة وعن حق قداسته وعُرفه ضد كل مغتصب ذي سلطة، هراطقة كانوا أم بروتستانت، خصوصاً الكنيسة اللوثرية في ألمانيا وهولندا والدنمارك والسويد والنرويج، والسلطة والكنائس الدعيَّة الآن في إنجلترا واسكتلندا وفروعِها القائمة الآن في إيرلندا والقارة الأمريكية وغيرها؛ وكلُ أتباع هؤلاء تغتصب [عروشهم] فهم هراطقة يعادون كنيسة روما الأم المقدسة. إنني بهذا أرفض وأتبرأ من أي ولاءٍ مستحَقٍ لمهرطقٍ ملكاً كان أو أميراً أو دولة، وسواء دُعُوا بروتستانت أو ليبراليين، ومن الطاعة لأي من قوانينهم أو قضاتهم أو شُرَطهم.

كما أنني أعلن أن عقائد وكنائس إنجلترا واسكتلندا والكالفنيين والهيجونوت وغيرهم ممن يدعون بروتستانت أو ليبراليين ملعونة، وأن من لم يتخل عنها فهو ملعون وجدير باللعن.

كما أنني أعلن أنني سأعين وأساعد وأنصح كلَّ أو أيَّ عميل من عملاء

---

(١) الكلمة الإنجليزية "*rod*" تعني «صولجان» أو «قضيب». والاستعمال المجازي هنا مقصود بعد القسم بـ "رحم" مريم الطاهرة البتول - عليها وعلى ابنها السلام - تشبيها لهما بـ«عشتار وتموز».

قداسته في أي مكان كنت: في سويسرا أو ألمانيا أو هولندا أو الدنمارك أو السويد أو النرويج أو إنجلترا أو إيرلندا أو أمريكا أو أي مملكة أخرى أو إقليم أنزل به، وسأعمل وسعي لاستئصال العقائد الهرطقية لدى البروتستانت والليبراليين ولتدمير كل سلطاتهم الدعية، ملكية كانت أم غيرها.

كما أنني أتعهد وأعلن - بما أنني في حِلٍّ [أن أكذب] - أن أعتنق أي دين هرطقي في سبيل نشر مصلحة الكنيسة الأم، وأن أُبقي المجالسَ الدورية لكل عملائها سراً وخصوصيةً متى ما ائتمنوني، وألا أذيعها بشكل مباشر أو غير مباشر، حديثاً أو كتابة أو بلسان الحال مهما كان؛ بل أنفذ كل ما يُقترح، أو يُعهد به أو أُطلَع عليه من قِبلك، أيها الأب الروحي، أو من قبل [أعضاء] هذا الدير المقدس.

كما أنني أتعهد وأعلن أنه لن يكون لدي رأي أو إرادة ذاتية أو أي تحفظ ذهني مهما كان بل [أكون] جثماناً أو جثةً هامدةً. لا بل سأطيع دون تردد كل وأي أمر أتلقاه من سادتي في ميليشيا البابا ويسوع المسيح.

وأنني سأذهب إلي أي بقعة في العالم حيثما وجِّهتُ، سواء إلى مناطق الشمال المتجمدة، أو الرمال الملتهبة في صحراء أفريقيا، أو أدغال الهند أو قلب الحضارة الأوروبية أو أحراش الهمجيين البرابرة في أمريكا[1]، دون تلكؤ أو تبرُّم. وسأكون خاضعاً في كل ما يوكل إلي مهما كان.

كما أنني أتعهد وأعلن أنني - متى ما سنحت الفرصة - سأصنع

(١) أي الهنود الحمر.

وأشن حرباً لا هوادة فيها، سراً وعلانيةً، ضد كل الهراطقة البروتستانت والليبراليين، كيفما أوجِّه، لاستئصالهم ومحو آثارهم من وجه الأرض قاطبة. وأنني لن أغادر [منهم أحداً مهما كان] سنه أو جنسه أو منزلته؛ وأنني سأشنق وأحرق وأقتل وأغلي وأسلخ وأخنق وأئد هؤلاء الهراطقة المشينين، وسأبقر أمعاء وأرحام نسائهم وأحطم رؤوس أطفالهم على الجدران حتى أبيد سلالتهم اللعينة إلى الأبد. فإذا ما استعصى الأمر علانية لجأت سراً إلى الكأس المسمومة أو حبل الشنق أو حد الخنجر أو طلقة الرصاص، دون اعتبار لشرفِ أو مكانةِ أو جلالةِ أو سلطةِ ذلك الشخص أو أولئك الأشخاص، مهما كان وضعهم في الحياة، أعياناً أم بسطاء، متى ما وُجِّهت لعمل ذلك في أي ساعة من قِبَل أي عميل من عملاء البابا أو سيد من سادات إخوان الإيمان المقدس، جمعيةِ يسوع.

وإقراراً بذلك أبذل حياتي وروحي وكل قوتي الجسدية، وبهذا الخنجر الذي أُعطاه الآن أكتب اسمي بدمي، شهادة بذلك. فإذا ما خنتُ أو وهن عزمي فلإخوتي وزملائي من جنود ميليشيا البابا أن يحُزّوا يديَّ ورجليَّ وينحروني من الأذن إلى الأذن وأن يبقروا بطني ويحرقوا جوفه بالكبريت، و[يعاقبوني] كل عقاب يمكن إنزاله بي على الأرض، وأما روحي فتضطهدها الشياطين في جهنم أبد الآبدين.

على كل ذلك أقسم أنا [فلان بن فلان] بالثالوث الأقدس والقربان المقدس الذي أُناوِلُه الآن، فأؤديه وأحفظه لا تنتهكَ حرمته؛ وأدعو أجناد السماء الأماجد ليشهدوا على عزمي الصادق على الإبرار بقسمي هذا.

وشهادةً بذلك أتناولُ قربان الإفخارستيا[1] الأقدس والمبارك، وأشهد ثانية بينما يسطَّرُ اسمي برأس الخنجر المغموس في دمي ويلصَقُ على واجهة هذا الدير المقدس. [يأخذ المريد خبزة القداس من السيد ويكتب (عليها) اسمه برأس الخنجر المغموس في دمٍ أُخِذ من ناحية قلبه].

السيد: فلتنهض على قدميك لأُلقِّنك ما عليك تعلمه من التعاليم لتعَرَّف نفسك لدى أي عضو من أعضاء جمعية يسوع ينتمي إلى هذه المرتبة [أي ما يعرف بـ"القسَم المغلظ من النذر الرابع"].

بداية ستقوم، باعتبارك أخاً يسوعياً وبالتبادل مع [يسوعي] آخر، بعمل علامة الصليب المألوفة كما يصنع أيُ كاثوليكي رومي. ثم يُصالِبُ أحدُكما بين ساعديه باسطاً راحتيه. وبالمقابل يصالب الآخر قدميه، واضعاً إحداهما على الأخرى. يشير الأول بسبابة اليد اليمنى إلى وسط راحة اليسرى، ثم يشير الآخَر بسبابة اليد اليسرى إلى وسط راحة اليمنى. ثم بيمناه يقوم الأول بصنع دائرة فوق رأسه لامساً إياه. ثم يلمس الآخر بسبابة يده اليسرى جانب جسمه الأيسر دون القلب بقليل. ثم يخط الأول بيمناه على غلصمة الآخر، فيوميء الأخير بيمناه كما لو كان يشق بخنجر بطن وأمعاء الأول. ثم يقول الأول "*Iustum*"، فيجيب الآخر "*Necare*"؛ فيقول الأول "*Reges*"، فيجيب الآخر "*Impios*" (بعد أن بُيِّن معناها سلفاً)[2]. ثم يقدِّم الأولُ قطعة ورق صغيرةً مطويةً بشكل فريد أربع مرات. فيقُصُّها الآخر

---

(١) كلمة يونانية تعني «الشكر».

(٢) وهي ألفاظ لاتينية تعني على التوالي: عدل؛ إهلاك؛ ملك؛ فاسق. أي "من العدل إهلاك كل ملك فاسق" كما سبق بيانه.

طولاً . وعند فتحها سيوجد اسم "*Jesu*"[1] مكتوباً ثلاثاً على رأس وذراعَي صليب . ثم تتداول معه الأسئلة والأجوبة [التالية] :

س : مِن أين أنت ؟

ج : مِن منعطفات [نهر] الأردن، ومن الجمجمة،[2] ومن الضريح الأقدس، وأخيراً من روما .

س : علامَ تحافظ ومن أجل ماذا تقاتل ؟

ج : الإيمان الأقدس .

س : مَن تخدم ؟

ج : الأبَ الأقدس في روما،[3] والبابا، والكنيسة الكاثوليكية الرومية الشاملة أنحاء المعمورة .

س : بأمر من تأتمر ؟

ج : خليفةِ إغناطيوس لويولا مؤسس «جمعية يسوع» أو «جنود يسوع المسيح» .

س : مَن لقيك ؟

ج : رجلٌ جليل ذو شعر أبيض .

---

(١) اسم «يسوع» في اللغة اللاتينية (الرومية) .

(٢) موضع صلب المسيح عليه السلام كما يزعم النصارى .

(٣) أي «البابا الأسود» الذي هو القائد الأعلى لتنظيم اليسوعيين . وهو اليوم «أدولفو نيكولاس» .

س: كيف؟

ج: بخنجر مسلول، بينما جثوت على الصليب تحت رايَتَي البابا وتنظيمنا الأقدس.

س: هل أخذت قسماً؟

ج: أجل، على أن أدمر الهراطقة وحكوماتهم وحكامهم وألا أغادر [منهم أحداً مهما كان] سنه أو جنسه أو منزلته. وأن أكون كالجثة دون رأي أو إرادة ذاتية، بل أطيع سادتي مطلقاً في كل شيء دون تردد أو تلكؤ.

س: وهل ستقوم بذلك؟

ج: أجل، سأقوم به.

س: كيف تسافر؟

ج: في مركب بطرس الصياد.

س: إلى أين تسافر؟

ج: إلى أطراف الأرض الأربعة.

س: لأي غرض؟

ج: لأطيع أوامر قائدي وسادتي وأنفذ مشيئة البابا، وأَفِيَ صادقاً بعهود قسَمي.

س: اذهب إذن إلى كل العالم واستول على كل البلاد باسم البابا. فمن لم

يقبله نائباً وخليفة ليسوع في الأرض فله اللعنة والفناء"[1].

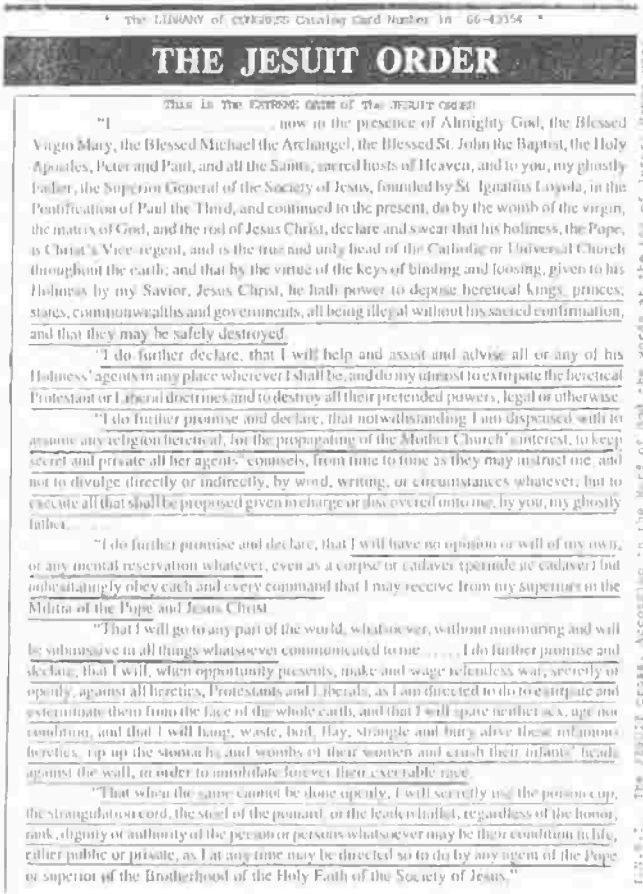

The LIBRARY of CONGRESS Catalog Card Number is: 66-43354

THE JESUIT ORDER

This Is The EXTREME OATH of The JESUIT ORDER!

"I _____ now in the presence of Almighty God, the Blessed Virgin Mary, the Blessed Michael the Archangel, the Blessed St. John the Baptist, the Holy Apostles, Peter and Paul, and all the Saints, sacred hosts of Heaven, and to you, my ghostly Father, the Superior General of the Society of Jesus, founded by St. Ignatius Loyola, in the Pontification of Paul the Third, and continued to the present, do by the womb of the virgin, the matrix of God, and the rest of Jesus Christ, declare and swear that his holiness, the Pope, is Christ's Vice-regent, and is the true and only head of the Catholic or Universal Church throughout the earth; and that by the virtue of the keys of binding and loosing, given to his Holiness by my Savior, Jesus Christ, he hath power to depose heretical kings, princes, states, commonwealths and governments, all being illegal without his sacred confirmation, and that they may be safely destroyed.

"I do further declare, that I will help and assist and advise all or any of his Holiness' agents in any place wherever I shall be, and do my utmost to extirpate the heretical Protestant or Liberal doctrines and to destroy all their pretended powers, legal or otherwise.

"I do further promise and declare, that notwithstanding I am dispensed with to assume any religion heretical, for the propagating of the Mother Church's interest, to keep secret and private all her agents' counsels, from time to time as they may instruct me, and not to divulge directly or indirectly, by word, writing, or circumstances whatever, but to execute all that shall be proposed given in charge or discovered unto me, by you, my ghostly father.

"I do further promise and declare, that I will have no opinion or will of my own, or any mental reservation whatever, even as a corpse or cadaver (perinde ac cadaver) but unhesitatingly obey each and every command that I may receive from my superiors in the Militia of the Pope and Jesus Christ.

"That I will go to any part of the world, whatsoever, without murmuring and will be submissive in all things whatsoever communicated to me . . . . . I do further promise and declare, that I will, when opportunity presents, make and wage relentless war, secretly or openly, against all heretics, Protestants and Liberals, as I am directed to do to extirpate and exterminate them from the face of the whole earth, and that I will spare neither sex, age nor condition, and that I will hang, waste, boil, flay, strangle and bury alive these infamous heretics, rip up the stomachs and wombs of their women and crush their infants' heads against the wall, in order to annihilate forever their execrable race.

"That when the same cannot be done openly, I will secretly use the poison cup, the strangulation cord, the steel of the poniard, or the leaden bullet, regardless of the honor, rank, dignity or authority of the persons or persons whatsoever may be their condition in life, either public or private, as I at any time may be directed so to do by any agent of the Pope or superior of the Brotherhood of the Holy Faith of the Society of Jesus."

صورة رقم (٢٥): النسخة الإنجليزية للقسم المغلظ.

(1) Sherman, Edwin. *The Engineer Corps of Hell; Or Rome's Sappers and Miners* (San Francisco, California: Private subscription, 1883), pp. 118-124.

هناك أيضاً طبقتان تندرجان تحت الطبقات الأربع أعلاه؛ إحداهما طبقة الأساقفة «الإقليميين» Provincials وينتخبون من طبقة «المعلنين». وهؤلاء يوظفون لثلاثة أعوام فقط وتنبني أهميتهم على الإقليم الذي يشرفون عليه. كما أنهم يتلقون تقارير شهرية مفصلة حول سيرة كل فرد تحت مسؤوليتهم من قبل الطبقة الأخرى طبقة «العمداء والسادة والمدراء» Rectors، Superiors and Administrators.

يتولى «العمداءُ» الإشراف على الكليات ويُختارون من طبقة «المساعدين الروحيين». كما يتولى «السادة» الإشراف على «بيتي التجريب الأول والثاني» ويُختارون من نفس الطبقة أيضاً. أما «المدراء» فيُنتخبون من طبقة «المساعدين الزمنيين» ويديرون كل الأمور الدنيوية المتعلقة ببيوت التجريب والكليات.

تقول «م. ف. كيوساك»: "وهكذا أقيمت مؤسسة صنعت - كما سنرى بالبرهان القاطع - ما لم يصنعه أي تنظيم ديني آخر في سبيل تدمير سلام الأسر وكبح التقدم البشري واستعباد أرواح البشر، وكل هذا باسم الدين".

هلاك لويولا:

كان هلاك لويولا مؤسس اليسوعية عام ١٥٥٦م. ويسجل نهايته البائسة «آندرو ستاينمتس» في كتابه «تاريخ اليسوعيين» حيث ينقل عن «أوكتافيان» Octavian اليسوعي قوله:

كان أبونا إغناطيوس ذا قداسة. ولكن عند اقتراب نزعه الأخير انتفض كما لو كان محموماً ثم التقط أنفاسه قائلاً: "لقد أحسنت إلى كنيسة روما كثيراً. لقد رأيت العديدَ من الأقاليم بأيدي رجالنا، والعديدَ من الكليات والبيوت والمساكن والثروات تأرز إلى جمعيتنا. والآن تخلى عني كل ذلك، ولا أدري إلى أين أصير!" ثم مات بعد أن انتابته رعشة، واسودّ وجهُه كما روى شاهد عيان – اليسوعيُّ «توريانوس»[1].

(1) Steinmetz, Andrew. *History of the Jesuits* (London: Richard Bentley, 1848), vol. I, p. 508.